الإصحاح الثالث عشر

عبــادة الكواكب وقوى الطبيعة

"[1] إن جميع الذين لم يعرفوا الله هم حمقى من طبعهم لم يقدروا أن يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة و لم يتأملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها. [2] لكنهم حسبوا النار أو الريح أو الهواء اللطيف أو مدار النجوم أو لجة المياه أو نيري السماء آلهة تسود العالم. [3] فان كانوا إنما اعتقدوا هذه آلهة لأنهم خلبوا بجمالها فليتعرفوا كم ربها احسن منها إذ الذي خلقها هو مبدأ كل جمال. [4] أو لأنهم دهشوا من قوتها و فعلها فليتفهموا بها كم منشئها أقوى منها. [5] فإنه بعظم جمال المبروءات يبصر فاطرها على طريق المقايسة." (حك 13 : 1-5)

فإنه بعظم جمال المبروءات = بعظم جمال المخلوقات

في صدد عبادة الحيوانات يشن سليمان الحكيم انتقاداً عاماً على عبادة الأصنام بأشكالها الثلاثة :

1- تأليه القوى الطبيعية والنجوم **(حك 13 : 1-9)** ،

2- عبادة الأصنام التي هي من صنع الإنسان **(حك 13 : 10-15 : 17)** ،

3- عبــادة الحيوانات **(حك 15 : 18-19)** .

لأننا نجد **" فيــلو "** الفيلسوف اليهودي يقول : إن البعض كان يؤله العناصر مثل الأرض والماء والهواء والنار، وهي عناصر الطبيعة الأربعة حسب فكرهم.

نلاحظ أن هذا الجزء من السفر وسفر باروخ من أكثر الأجزاء التي تعالج عبادة الأوثان .. أنظر سفر باروخ لنفس المؤلف من هذه السلسلة. إن الإنسان عندما كان يرى شئ جميل بدل من أن يمجد الخالق ويعطي المجد له للأسف أعطى المجد للمخلوق دون الخالق. ويجب على من ينظر إلى الطبيعة ويتأمل فيها أن يرفع عقله إلى إلهٍ سامٍ وخالق لكل شئ.

والرب نهى شعبه عن ذلك بقوله **" ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم وشهاداته التي شهد بها عليهم وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا ووراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم. " (2مل 17 : 15)** ، **" مع انه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيرا يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاما وسرورا. " (أع 14 : 17)**، ففي كل صباح وكل يوم إذا نظرت إلى الطبيعة تجد أنه يوجد سر وإله عظيم خلف كل هذه المخلوقات . كائن أعظم يدير الكون. لكن الإنسان الجاهل يقول عنه الكتاب : **"وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات. " (رو 1 : 23).**

وأيضاً عبدوا النار والريح والهواء اللطيف والرب حذَّر شعبه وقال له في سفر التثنية : **" ولئلا ترفع عينيك إلى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم ك ل**

جند السماء التي قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء فتغترّ وتسجد لها وتعبدها . " (تث 4 : 19)، فالرب دائماً يحذر شعبه من الشعوب المجاورة، لكن للأسف نجد في شعبه من كان يعبد الطبيعة والأصنام . حتى سليمان الحكيم نفسه في آخر أيامه، نجد أن النساء الغ ريبات جعلته يبني لهن مذابح ليعبدوا آلهتهن. لذلك نجد أن الناس بدلاً من أن ينجذبوا بجمال المخلوقات إلى الله الخالق وجدوا أنفسهم منجذبين إلى الأصنام والتماثيل نفسها أنظر **" لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى انهم بلا عذر . " (رو 1 : 20)، " السموات تحدث بمجد الله .والفلك يخبر بعمل يديه. " (مز 19 : 1).**

ونجد في تتمة دانيال أن الثلاثة فتية القديسين عندما سبحوا الله استخدموا كل الطبيعة لتمجيد الله. وهي صلاة جميلة ورائعة تصليها الكنيسة كل يوم في التسبحة (أرجو الرجوع إليها بالتفصيل في تتمة دانيال من نفس السلسلة للمؤلف) فالإنسان الحكيم كلما نظر إلى شئ يمجد الله وخاصة الزهور وجمالها وطيور السماء أبوكم يعولها. والألوان الخاصة بالزهور، فجمال المخلوقات وعظمتها يجعلنا نتأمل في الخالق ونعطيه المجد والشكر، لأنه من أجل محبته لنا خلق لنا كل هذا الجمال مثل الشمس والقمر والنجوم .. الخ، لنستمتع به.

"[6] غير أن لهؤلاء وجها من العذر لعلهم ضلوا في طلبهم لله و رغبتهم في وجدانهم. [7] إذ هم يبحثون عنه مترددين بين مصنوعاته فيغرهم منظرها لأن المنظورات ذات جمال. [8] مع ذلك ليس لهم من مغفرة . [9] لأنهم إن كانوا قد بلغوا من العلم إن استطاعوا إدراك كنه الدهر فكيف لم يكونوا أسرع إدراكاً لرب الدهر . " (حك 13 : 6-9)

غير أنه لهؤلاء بعض العذر لأنهم فيما هم يبحثون عن الله وقعوا في عبادة المخلوق دون الخالق، لكنهم لا يعفوا من المسئولية لأن الله حذرهم **" لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع انه عن كل واحد منا ليس بعيداً . " (أع 14 : 17)**، وقارن **إذ هم يبحثون عنه مترددين بين مصنوعاته** مع **" لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم واظلم قلبهم الغبي . " (رو 1 : 21)**، لذلك هم بلا عذر كما قيل في **(رو 1 : 20).**

لأنهم إن كانوا من العلم على قدرٍ كافٍ لمعرفة طبيعة الكون فكيف قصروا عن معرفة رب الكون ذاته؟ وسيكون ذلك سبب دينونتهم لأنهم تقدموا في العلوم والفلك بحيث أصبح من السهل عليهم أن يدركوا أن هناك إلهاً خالقاً وراء تلك العناصر.

"[10] أما الذين سموا أعمال أيدي الناس آلهة الذهب و الفضة و ما اخترعته الصناعة و تماثيل الحيوان و الحجر الحقير مما صنعته يد قديمة فهم أشقياء و رجاؤهم في الأموات . [11] يقطع نجار شجرة من الغابة طوع العمل و يجردها بحذقه من قشرها كله ثم بحسن صناعته يصنعها آلة تصلح لخدمة العي ش. [12] و يستعمل نفايتها وقودا لإعداد طعامه. " (حك 13 : 10-12)

هنا أبتدأ يذم الأصنام، خاصة الأصنام التي في العبادة اليونانية . وقد قاوم تلك الأصنام الكثير من الأنبياء مثل أشعياء النبي .. أنظر **"[9] الذين يصورون صنماً كلهم باطل ومشتهياتهم لا تنفع وشهودهم هي . لا تبصر ولا تعرف حتى تخزى . [10] من صوّر إلهاً وسبك صنماً لغير نفع .[11] ها كل أصحابه يخزون والصناع هم من الناس. يجتمعون كلهم يقفون يرتعبون ويخزون معاً . [12] طبع الحديد قدوماً وعمل في الفحم وبالمطارق يصوره فيصنعه بذراع قوته . يجوع أيضاً فليس له قوة . لم يشرب ماء وقد تعب . [13] نجّر خشباً. مدّ الخيط. بالمخرز يعلمه يصنعه بالأزاميل وبالدوارة يرسمه. فيصنعه كشبه رجل كجمال إنسان ليسكن في البيت . [14] قطع لنفسه أرزاً واخذ سنديااً وبلوطاً واختار لنفسه من أشجار الوعر . غرس سنوبراً والمطر ينميه. [15] فيصير للناس للإيقاد.ويأخذ منه ويتدفأ. يشعل أيضاً ويخبز خبزاً ثم يصنع إلهاً فيسجد. قد صنعه صنماً وخرّ له. [16] نصفه احرقه بالنار على نصفه يأكل لحماً. يشوي مشوياً ويشبع .يتدفأ أيضاً ويقول بخ قد تدفأت رأيت ناراً . [17] وبقيته قد صنعها إلهاً صنماً لنفسه .يخرّ له ويسجد ويصلّي إليه ويقول نجني لأنك أنت الهي . [18] لا يعرفون ولا يفهمون لانه قد طمست عيونهم عن الإبصار وقلوبهم عن التعقل . [19] ولا يردد في قلبه وليس له معرفة ولا فهم حتى يقول نصفه قد أحرقت بالنار وخبزت أيضاً على جمره خبزا شويت لحما وأكلت .أفأصنع بقيته رجساً ولساق شجرة أخرّ . [20] يرعى رمادا قلب مخدوع قد أضله فلا ينجي نفسه ولا يقول أليس كذب في يميني . " (أش 44 : 9-20)**، وكذلك إرميا النبي عندما قال : **"[1] اسمعوا الكلمة التي تكلم بها الرب عليكم يا بيت إسرائيل . [2] هكذا قال الرب.لا تتعلموا طريق الأمم ومن آيات السموات لا ترتعبوا .لأن الأمم ترتعب منها. [3] لأن فرائض الأمم باطلة . لأنها شجرة يقطعونها من الوعر .صنعة يدي نجار بالقدوم. [4] بالفضة والذهب يزينونها وبالمسامير والمطارق يشددونها فلا تتحرك. [5] هي كاللّعين في مقثأة فلا تتكلم .تحمل حملاً لأنها لا تمشي .لا تخافوها لأنها لا تضر ولا فيها أن تصنع خيراً. [6] لا مثل لك يا رب عظيم أنت وعظيم اسمك في الجبروت. [7] من لا يخافك يا ملك الشعوب لانه بك يليق .لانه في جميع حكماء الشعوب وفي كل ممالكهم ليس مثلك . [8] بلدوا وحمقوا معاً .أدب أباطيل هو الخشب. [9] فضة مطرقة تجلب من ترشيش وذهب من اوفاز صنعة صانع ويدي صائغ.اسمانجوني وارجوان لباسها.كلها صنعة حكماء. [10] أما الرب الإله فحق.هو اله حيّ وملك ابدي .من سخطه ترتعد الأرض ولا تطيق الأمم غضبه . [11] هكذا تقولون لهم.الآلهة التي لم تصنع السموات والأرض تبيد من الأرض ومن تحت هذه السموات. [12] صانع الأرض بقوته مؤسس المسكونة بحكمته وبفهمه بسط**

السموات. [13] إذا أعطى قولاً تكون كثرة مياه في السموات ويصعد السحاب من أقاصي الأرض.صنع بروقاً للمطر واخرج الريح من خزائنه . [14] بلد كل إنسان من معرفته.خزي كل صائغ من التمثال .لأن مسبوكه كذب ولا روح فيه . [15] هي باطلة صنعة الأضاليل.في وقت عقابها تبيد . [16] ليس كهذه نصيب يعقوب.لانه مصور الجميع وإسرائيل قضيب ميراثه.رب الجنود اسمه. " (ار 10 : 1-16)

وأيضاً قارن مع **(باروخ إصحاح 6)** يوجد جزء كبير في كتاب باروخ 6 يشرح عمل كل الآلهة لأنها لا تشعر ولا تشم ولا تتحرك . فهنا سليمان الحكيم يقول لهم كيف تطلقون عليها آلهة وهي قطعة من الخشب؟ النجار قطعها من شجرة صنع منها تمثال جميل وباقي جذع الشجرة حرقه وأعد عليه طعامه . فكيف تكون آلهة؟ جزء إله والجزء الأخر أُستُخدِم في الوقود؟

وللأسف فإن الناس السذّج يعتقدون فيها . ولو رجعنا إلى تتمة سفر دانيال ، نجد أن دانيال أظهر للملك أن التمثال لا يأكل. فقد كان الملك يعتقد أنه يأكل، لكن دانيال بحكمته أراه كيف أنه لا يأكل لأن باطنه من طين. وبعد أن عاقب الملك الكهنة أروه الباب الخلفي الذي كانوا يدخلون منه ليأكلوا الطعام . والإنسان الحكيم مثل دانيال من أول وهلة قال للملك : أيها الملك هذا تمثال ولا يستطيع أن يأكل، وأنا لا أسجد له وسوف أثبت لك أنه تمثال وليس إلهاً.

"[13] ثم يأخذ قطعة من نفايتها لا تصلح لشيء خشبة ذات اعوجاج و عقد و يعتني بنقشها في أوان فراغه و يصورها بخبرة صناعته على شكل إنسان. [14] أو يمثل بها حيوان خسيساً و يدهنها بالاسفيداج و يحمر لونها بالزنجفر و يطلي كل لطخة بها. [15] و يجعل لها مقاماً يليق بها و يضعها في الحائط و يوثقها بالحديد . [16] و يتحفظ عليها أن لا تسقط لعلمه بأنها لا تقوم بمعونة نفسها إذ هي تمثال يفتقر إلى من يعينه. " (حك 13 : 13-16)

الاسفيداج = القـــرمز

بعد ذلك يأخذ هذا النجار القطعة التي كانت لا تصلح لشيء - خشبة معوجة وبها عقد موجودة في الخشب - والخشب الذي به عقد يكون رخيص الثمن لأنه من الصعب على النجار أن يستعمله ويتطلب منه مجهود كبير في التصنيع ثم يعملها على شكل تمثال ثم يعمل منها تمثال ويدهنه بالقرمز، واللون الأحمر هو اللون الملوكي وكل ذلك يعمله النجار في وقت فراغه. ويدل ذلك على أن العقل الفارغ هو معمل للشيطان وأيضاً يدل على أنها ليست لها أهمية لأن لو كان لهذه الآلهة أهمية كبيرة عنده لكان خصص لها وقت خاص لها ثم يجعل لها مسكناً يليق بها.

ويثبتها بالمسامير أو بالحديد على الحائط لأ نها لا تستطيع أن تساعد نفسها إذا وقعت على الأرض، وهذا وصف محكم للسخرية من الصنم . فمادة الصنم من الخشب الرخيص أو النفاية، والفنان صانع بسيط والعمل لا دقة فيه، والصنم لا يستطيع أن ينتصب.

قارن **" وزادت زناها ولما نظرت إلى رجال مصوّرين على الحائط صور الكلدانيين مصوّرة بمغرة . " (حز 23 : 14)، " فشدد النجار الصائغ .الصاقل بالمطرقة الضارب على السندان قائلاً عن الإلحام هو جيد .فمكنه بمسامير حتى لا يتقلقل. " (أش 41 : 7)، " يرفعونه على الكتف .يحملونه ويضعونه في مكانه ليقف من موضعه لا يبرح .يزعق أحد إليه فلا يجيب .من شدته لا يخلصه. " (أش 46 : 7)، "[3] وبكَّر الاشدوديون في الغد وإذا بداجون ساقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب .فاخذوا داجون أقاموه في مكانه .[4] وبكروا صباحاً في الغد وإذا بداجون ساقط على وجهه على الأرض أمام تابوت الرب وراس داجون ويداه مقطوعة على العتبة.بقي بدن السمكة فقط. " (1صم 5 : 3،4).**

"[17] ثم يتضرع إليها عن أمواله و أزواجه و بنيه و لا يخجل أن يخاطب من لا روح له. [18] فيطلب العافية من السقيم و يسأل الميت الحياة و يستغيث بمن هو اعجز شيء عن الإغاثة.[19] و يتوسَّل من اجل السفر إلى من لا يستطيع المشي و يلتمس النصرة فـي الكسب و التجارة و نجح المساعي ممن هو اقصر موجود باعاً. " (حك 13 : 17-19)

ثم يتضرع إلى هذا التمثال كما يقول أشعياء النبي **"[17] وبقيته قد صنعها إلهاً صنماً لنفسه.يخرّ له ويسجد ويصلّي إليه ويقول نجني لأنك أنت الهي .[19] ولا يردد في قلبه وليس له معرفة ولا فهم حتى يقول نصفه قد أحرقت بالنار وخبزت أيضاً على جمره خبزاً شويت لحماً وأكلت .أفأصنع بقيته رجساً ولساق شجرة أخّر . " (أش 44 : 17،19)، " قائلين للعود أنت أبى وللحجر أنت ولدتني .لأنهم حوّلوا نحوي القفا لا الوجه وفي وقت بليتهم يقولون قم وخلصنا. " (أر 2 : 27)، "هي كاللّعين في مقثأة فلا تتكلم .تُحْمَل حملاً لأنها لا تمشي.لا تخافوها لأنها لا تضر ولا فيها أن تصنع خيراً. " (أر 10 : 5).**

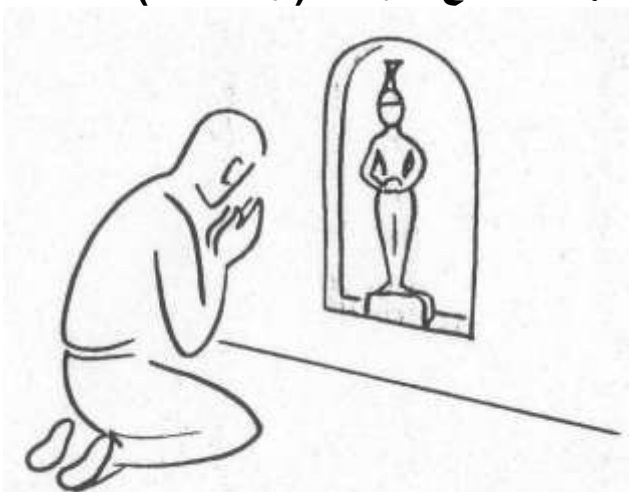

يستغيث بمن هو اعجز شيء عن الإغاثة (حك 13 : 19)

ويتطلع الرب ويجد البشر بدل من أن يطلبوا منه يطلبون من التمثال. ويجد الإنسان يطلب من التمثال عن أمواله وعن بيته، ولا يخجل أن يخاطب التمثال ويطلب العافية من تمثال أضعف ما يمكن . ويطلب الحياة من تمثال ميت، ويطلب العون مِنْ مَنْ هو أعجز ما يكون. ويطلب السلامة في السفر ممن لا قدرة له على المشي، والنجاح في الكسب والتجارة ممن لا قدرة له على شئ.

عظيم أنت يا رب تجد كل هؤلاء البشر يطلبون من الأصنام والحجارة والطيور ويتركوك أنت ماء الحياة، وما زلت تعطيهم الفرصة لكي يتوبوا . وحتى الآن نجد عبدة الشيطان وعبادة المادة مثل المال. أذكر مرة أني سألت شخص ما عن ديانته فوجدته يخرج لي دولاراً من جيبه وقال لي هذا هو إلهي ... هؤلاء مساكين ومازلت تعطيهم الفرصة يا رب ... ما أكثر رحمتك يا رب على بني البشر.